السياق و أثره في توجيه المعاني المعجمية للألفاظ القرآنية

"الأفعال الثلاثية نموذجا"

د . كاظم عبد فريح

كلية التربية / جامعة ميسان

مقدمة:

زخرت المكتبة الإسلامية من المُؤلَّفات التي حاولت الوقوف عند إعجاز القرآن ومحاولة كشف أسراره وبيانه المعاني، وشهد التاريخ الثقافي للمسلمين حركةً تأليفيةً حَفَلَت وأُوجُهَ الألفاظ في القرآن الكريم، وكان لكبار علماء اللغة والنحو واصحاب المعاجم الدور الكبير في تتبع المعاني الفرعية التي تستبطنها المفردات وكانت سلسلة من المؤلفات انضوت تحت عناوين منها؛ (معاني القرآن)[١] و (مجاز القرآن)[٢] و (الأشباه والنظائر)[٣] و (غريب مفردات القرآن))[٤] وما يعرف

(١) ينظر: معاني القرآن، الفراء (ت (٢٠٤) هـ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
:معاني القرآن، أبو جعفر النحاس ت (٢٣٨) هـ، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، مطبعة جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.

(٢) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة ت (٢١٠) هـ، تحقيق محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٢م.

(٣) الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة .

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني ت (٤٢٥) هـ ، تحقيق صفوان عدنان الداودي دار القلم ، دمشق.

: غريب القرآن، فخر الدين الطريحي ت (١٠٨٥) هـ ، تحقيق محمـــــد كاظم الطريحي، مطبعة الزاهدي ، قم.

بـ (وجوه القرآن)[١]، وللمحدثين دورهم في تتبع هذا الأمر حتى غدا تتبع ظاهرة التنوع الدلالي معلماً واضحا في دراسة النص القرآني في كثير من البلدان العربية الإسلامية[٢].

(١) ان كثيراً من الدراسات ظلت إشارات متناثرة وقد وقفت – في أغلب الأحيان –د حدود العد عن والإحصاء دون أن يكون هناك خوض في الربط بين هذه المفردات والسياق الحاضن لها ، وكات الاهتمام الأكبر متمثلا بالتعرف على وجوه القرآن الكريم ويُقصد به أن تكون الكلمة الواحدة ذُكِرَت في مواضع في القرآن على لفظ واحدٍ ، وحركة واحـــــدة ، وأريد بكل معنى غير الآخر ولعل كتاب (وجوه القرآن) لإسماعيل بن احمد الحيري النيسابوري ت (٤٣١) هـ، اضخم ما ألف فـــي هذا المجال حتى اصبح مرجعاً لكثير من المحدثين والمفسرين ، ومعجماً يرجع ت إليه أرباب المعاني واللغويون.

ينظر: وجـــــوه القرآن ، تحقيق د. نجف عرش ، مطبعة الأستانة الرضوية ، مشهد ، ١٤٢٢هـ.

:نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، عبد الرحمن بن علي الجوزي ت (٥٩٧) هـ، تحقيق سيدة مهر النساء ، ١٩٧٤م، مطبعة حيدر آباد.

(٢) ينظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، تحقيق د. نجف عرش مطبعة الأستانة الرضوية ، مشهد، ١٤٢٢هـ.

:الإعجاز القرآني، عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٩م.

القاه : في ظلال القران ، سيد قطب ، دار المعارف ، ط٣٥، رة ، ٢٠٠٥م: جمالية المفردة القرآنية، د.أحمد ياسوف، دار الكتبي، . ط٢،سورية، ١٩٩٩م.

لقد ازدحمت المعاني في المُفردة العربية عموماً والقرآنية علـى وجـه التحديد فكان ذلك باعثا للشروع في دراسة (الأشباه والنظائر في اللغة العربية الذي أسهم في رفد الدراسات المستقرئة للتنوع الدلالي للمفردة القرآنية، فوجد الباحث رابطاً بين هذين الأمرين فتتبع بعضاً من المفردات القرآنية للكشف عن ذلك، ولاعتماد محددات منهجية لابد من التنويه إلى بعض الأمور؛ منها:

١ – وقع الاختيار على بعض الأفعال الثلاثية التي أُختيرت وفق التنوع الأبجدي لغرض التنويع في المفردات المختارة ، ولو تتبع الباحث هذه الظاهرة في عُموم الألفاظ القرآنية لوجد نفسه أمام دراسة كبيرة تَسَع رسالة دكتوراه أو ماجستير على أقل تقدير لما تحفل بـه السياقات القرآنية من دلالات معنوية للمفردة القرآنية الواحدة ولا سيما إنها مفردات مكتنزة بالمعاني تفتح على احتمالات دلالية يفرضها السياق الحاضن لها ، ولاعتماد منهجية علمية أكاديمية دقيقة وقع الاختيار على نماذج من الأفعال القرآنية بما تسمح به مساحةُ البحث وفق الحدود الأكاديمية .

٢ – لم يجد الباحث مناصاً من تناول الأسماء التي تولدت من اصل الأفعال المنتخبة والتي كانت بمثابة رحم انبثقت منه تلك الأسماء وبَقِي المُعول على أصل ألا فعال المانحة للمعاني والدلالات التي تَوَزَّعت بين أفعال وأسماء فرعيَّةِ ، وَمِنَ اللَّهِ التوفيق.

المدخل:

لم يغفل أصحاب المعاجم اللغوية ما للمفردة الواحدة من معان تظهر من خلال التأويل تارة أو بفعل الأثر السياقي الحاضن لتلك المفردات تارة أخرى، فكانا – التأويل والسياق – باعثاً للتأليف في (الأشباه والنظائر) و (التنوع الدلالي) علما أنَّ الأوَّل مَردُّهُ التأويل والآخر مَرَدُّه السياق

إنَّ المفردة تكتنز معاني عديدة غير أنها عند الاستعمال ينتفي عنها كثير ن تلك المعاني – المعجمية – وتظلُّ منوطة بمعنى واحد تقريباً هو الذي يقود إليه السياق ، وقد بان هذا الأمر في المعاجم اللغوية مثل؛ (العين) و (تهذيب اللغة) و (لسان العرب) و(الصحاح) و (المُحكم) و (العُباب الزاخر) و (تاج العروس) وإذ وقف أصحابها طويلا – إلا فيما ندر – عند المعاني المتعدّدة للألفاظ التي حددها التأويل أو السياق ، فمعظمها لم يقف عند المعنى الواحد ولا سيما الألفاظ القديمة منها على وجه التحديد ، ومن اللافت للنظر أنّ الأمر لم يقف عند حدود المفردة القرآنية فيما تقدَّم من المعاجم وجاوزه إلى ما ورد في شعر العرب وكلامهم عموماً ، وقد نَبَّه الشريف المرتضي إلى أنَّ المعنى محتاج إلى النظر في السياق والتأمل في أعطافه[1] ، فالسياق ليس بقادر على تفجير الطاقة الدلالية للنص ما لم يكن مشفوعاً بنظرة تأمل تقود إلى التأويل فيكونا بمثابة الضوء الكاشف عن المعاني المخبوءة ، وقد نبه الزركشي

(١) نبه (الشريف المرتضى على أن المعنى مُحتاج إلى نظر في السياق وتأمل في أعطاف

ينظر : تنزيه الأنبياء ، الشريف المرتضي ت (٤٠٠) هـ ، المطبعة الحيدرية ، ط ٢ ، النجف ، ٩٦٠م، ص: ١٣٢-١٣٣.

: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، د. حامد كاظم عباس، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٤م،ص / ١٦٦.

ت (٧٩٤هـ) إلى أن السياق من أعظم القرائن الدالة على مراد المفردة القرآنية[١].

لم يكن هذا الأمر بمعزل عن دراسات المحدثين إذ يرى (غيرو) أنَّ" التغير الدلالي هو التعبير في المعنى ، والقيمة الدلالية للكلمة تكمن فيها "[٢]

، لان اللفظة الواحدة أو التركيب الواحد يُمكن أن يكون له دلالات متعددة وإيحاءات متعددة[٣]، وقد يكون السياق الداخلي – اللغوي – والخارجي سياق الحال أو المقام – هما الكاشفان عن معاني المفردة القرآنية، ويُقصد بهما النص وعلاقتهما بما سبق أو بما لحق من سياقات أو بما يوحي به السياقُ الكلي للنص[٤] بالنسبة للأول أو يقصد بما يتعلق بالعناصر غير اللفظية في النص كأسباب النزول.

***أخذ.**

يأخذ هذا الفعل في لغة العرب معاني منها : (عاقب،ابتلى ،اختبر، أخرج ، أمسك، عقد)[٥] (وتوزع في النص القرآني على بعض منها، والسياق الحاضن لها هو الموجه نحو هذا المعنى أو ذاك:

أ – (العقاب)

(١) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ت (٧١١) هـ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م،ج ٣ / ٤٧٢ – ٤٧٥ .

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى عبد القادر ، دار الفـــر ، بيروت، ٢٠٠١ م، ص : ٣ و : بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ت (٧٥١) هـ، المطبعة المنيرية ، مصـــر (د.ت)، ج٤/ ٩ – ١٠.

(٣) علم الدلالة ، ترجمة انطوان أبو زيد ، منشورات عويدات ، بيـــوت ،١٩٨٦م، ص: ٣٦.

(٤) ينظر: الإعجاز القرآني اسلوبا ومضمونا، د. شلتاغ عبود ، دار المرتضى ، بيروت، ١٩٩٣م، ص : ٦٩.

(٥) المصدر نفسه .

في قوله تعالى: «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ[١]، وَيُعَزِّزُ هَذَا الْمَعْنَى ويُؤْكِدُهُ السِّياقَ الْسابقَ لِلآيةِ في قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ[٢]، وَالْمُقَصَّدُ هُوَ" وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ"، وهو ما يُسْتَدلُّ على المعنى المراد، وكذلك في سياق الحِراق، وهو قوله تعالى: "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ[٣]، والحشر في جهنم مما يتَّفق مع العذاب، بل هو من قرائنه، والمفسرون لم يكونوا بمنأى عن هذه القرائن السياقية المتتابعة، التي تصبح دقيقة أضواء تواشجت لكشف دلالة المفردة التي أصبحت مثل هذا المعنى في موضع آخر في النصوص القرآنية[٤] .

ب –(الابتلاء والاختبار).

(١) ينظر: تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن، علي بن الحسن الطبرسي ت (٥٦٠) هـ، مؤسسة العلمي، بيروت، ١٤١٥هـ، ج ٢/٢٤٤.
ينظر: جامع البيان عن تأويل أي قرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت (٣١٠) هـ، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ج ١٠/٣٢.
ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل علي بن كثير ت (٧٧٤) هـ، دار المعرفة ، بيروت، ١٤١١هـ، ج ٨٢/٤.
(٢) آل عمران: ١١ .
(٣) آل عمران: ١٠ .
(٤) ينظر كأنه يقول تعالى: فكلاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنَهُمْ مِنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبٌ وَمِنهُمْ مِنْ أخذه الصيحة ومنهم من خسفنا إلى الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" العنكبوت: ٤٠.

كما في قوله تعالى: "وما أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ[1]، أي: نَبْلُوهُم بِالأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ[2]، ونختبرهم بهما[3]، والقرينة في السياق المجاور: "لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ"، وهو سياق يوحي ببقائهم بعد هذا البلاء والاختبار وتحضير أوحت هاتان المفردتان (الأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ بهذا المعنى)، ويُعضده السياق اللاحق، وهو قوله تعالى: (ثمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةِ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)[4]، وقد تأتي بمعنى العقاب في رد الابتلاء والعقاب في لفظ واحد في سياق واحد.

ج – (أخرج).

كما هو ظاهر في قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ"[5]

والمتمثل في قوله تعالى: "وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ[6]، وَالْسَانُدُ لِهَذَا الْمَجَازِي الْمُتَأَتِي فِيهِ فِيهِ الْمُجَازِي، وَالْمُتَالِي، وَالْأَوَّلُ فِي الْجَارِ وَالْمُجَرُّورِ المتعلقين بالفعل

---

(1) الأعراف: ٩٥ .
(2) الأعراف: ١٧٢.
(3) الاعراف ٩٤.
(4) ينظر تفسير ابن كثير ،ج٢/ ٢٤٣.
(5) ينظر : جامع البيان ، الطبري ، ج٢٥٤/٧.
(6) ينظر : الميزان في تفسير القران ، محمد حسين الطباطبائي ت(١٤٠٢)هـ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم (د.ت) ج١٩٤/٨.

(أخذ)، وهو :" من ظهورهم"، باعتبار أن تخرج الذرة – في تعبير كنائي من الظهور (الأصل)، وكذلك قوله تعالى: "أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ"[١]، فالحديث عن الآباء والذرية يوحي بهذا المعنى المقصود.

د – (أمسك)[٢]

في قوله تعالى: "ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفى قال بئسما خلفتموني من بَعْدِي أَعْجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ الْاسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[٣] السياق السابق " لما رجع غضبان.... وألقى المثال يُمهد إلى توجيه الفعل (أخذ) للمعنى (أمسك)، الذي عزز بنكـــر (رأس أخيه) اللاحق للفعل نفسه، والقول (يجر إليه) قرينة ظاهرة على ذلك، ومضى السياقُ البعدي قُدماً في هذا التوجيه

(١) الأعراف : ١٧٣.

(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج ٩/٨٧.

:الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفتح، جدة، ١٣٦٥ هـ، ، ج ٤/٣٠٥.

،فتح القدير، الشوكاني، كتب، مـــــر : (د . ت) ، ج ٢/٢٤٨ .

(٣) الأعراف / ١٥٠.

الدلالي للمعنى المُستبطَن، وقد يدل على أخذ هذا المعنى بملازمة حرف الجر (الباء) كما في قوله تعالى: "قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي"

***أَذِنَ.**

ومن معانيها الضمنية التي ما أوردها صاحب اللسان (أَوْ إِنَّهُ وَإِنَّهُ وَعَلَمٌ بِالْحَقِّ، وَنَادِي)[١]، وبفضلِ السياق يلوح في الأفُق معنى دون سواه كما هو جلِي فيما يأتي ذكره .

أ – (الاطلاق والاباحة)[٢] .

في قوله تعالى: "قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلاً قُلْ اللَّهُ أَذِنَا لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ[٣] ، وَالْقَدْرَةُ الْفَظِيعَةُ (حَرَامًا وحلالا) تدفع الْفِعْلَ (أَذِنَا) لِمَا لَمْ يَكُنْ كَثِيرًا مِنَ الْمُفَسِّرِينَ[٤] ، فَسَرَّ الْآخِرَ بِمَا سَبقَ مِنْ سِياقِ ظَاهِرٍ".

ب – (أَخْبَرُ، وَأَعْلَم)

في قوله تعالى: "إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيَّنَ شُرَكَائِي

---

(١) طه/ ٩٤ .

(٢) ينظر: لسان العرب، ج١ / مادة (آذان).

(٣) ينظر: تفسير زاد المسير، في علم التفسير، جمال الدين بن علي الجوزي ت (٥٩٧) هـ، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر، بيروت ١٤٠٧ هـ، ج ٤/٣٦.

: تفسير الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي ت (٦٧١) هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت١٤٠٥ هـ، ج٨/ ٣٥٥.

(٤) نظر: جامع البيان، الطبري، ج ١١/١٦٥.

:تفسير ابن كثير، ج ٢/ ١٨٧ . ت:

: تفسير القرطبي، ج ١٨/ ١٨٠ – ١٨٢.

قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهيد)[١] ، والقرينة الدالة على إرادة هذا المعنى سبق القول (قالوا) ، أي أخبرناك ما منا من شهيد ، ويرى صاحب جامع البيان أنها بمعنى (أعلمناك)[٢] ، أو (أطعناك)[٣] ، وارجع الشوكاني المعنى الأول إلى قول الشاعر الجاهلي:

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يُمَلُّ منه الثواء[٤]

والسياق الحولي يدفع نحو هذا المعنى بعد أن عاين المشركون وهم المخاطبون – القيامة تبرؤوا من الشركاء وتبرأت منهم[٥]

ج – (نادى)

في قوله تعالى: "وَنَادَا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّنَا حَقًّا قَالُوا نَعَم فَأَذَن مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لِعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ[٦] ، فَيَتَصَوَّرُ لَنَا الآيَةُ مَا يَجْرِي بَيْنَ أَنْ نَدَا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ– للاشارة الى بعد المسافة بينهما التي استدعت النداء

---

(١) فصلت: ٤٧.

(٢) ينظرَ: جَامِعُ الْبَيْانِ، الطَّبْرِي، ج ٣/٢٥.

هذا ما يراه النحاس في معاني القرآن، ومرده في هذا المعنى هو الأصل اللغوي.

ينظر: معاني القرآن، ج ٢٨٢، ٦. وينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج ٧/٦٦.

ينظر: تفسير ابن كثير، ج ١٢/٤.

ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ج ٥٢٢/٤.

(٣) ينظر: المكان نفسه.

(٤) شرح القصائد العشر الخطيب التبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة ط ٣، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٩٧.

(٥) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ج ٥٢٢/٤.

(٦) وان كان هذا الفعل من (أذن) بتضعيف الذال لأن الأصل هو الجذر الأول للفعل هو (أذن).

–أَن " قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا " في استفهام استنكاري دال على الاستهزاء والتوبيخ ، فجاء جوابهم (نعم) ، هنا نادى مُؤَذِّنٌ مِنهم " منهم " أَنْ لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ " والمفردة (مُؤذِّن) تدعم هذا المعنى وتُؤيِّدُهُ[١] .

(١) جاء في تفسير مجمع البيان، الطبرسي ، ج ٤ / ٢٥٧ : " أي نادى مناد بينهم اسمع الفريقين"

بَثْ*

يشارك في اللغة لمعان (فَرَّقَ ونَشَر، والحال والحزن والغم)[١]، غير أن السياق هو الذي يُزيحها إلى هذا المعنى دون غيره من المعاني الأخرى، مثل:

أ – **(فرق ونشر)**.

قال الله تعالى: "وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ[٢] أي فرق فيها من جميع الحيوان[٣]، وصدرت الآية هي: "السموات والأرض" يكشف عن إرادة هذا المعنى الذي نلمحه في مواضع أخرى من القرآن الكريم[٤]، وأضفى على المفردة دلالة إيحائية مقصودة دون سواها، وفي نسق وانسجام معنوي مثقل بالدلالة المجازية

ب – (الغم)[٥] ، و(الهم)[٦] ، و(الحزن)[٧] .

---

(١) ينظر: لسان العرب، ج ٢ / ١١٤.

(٢) البقرة: ١٦٤.

(٣) ينظر: تفسير التبيان، الطوسي، ح ٩/٢٤٨، تفسير جامع البيان، الطبري، ج ٨٨/٢.

(٤) في قوله تعالى: "وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ" الغاشية: ١٦ .

وقوله تعالى: "يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ" القارعة: ٤.

(٥) ينظر: غريب مفردات القرآن، الأصفهاني، ص: ٣٧، تفسير التبيان، الطوسي، ج ٥٩/٢.

(٦) ينظر: تفسير الصافي، محسن الفيض الكاشاني ت (١٠٩١) هـ، تحقيق حسين ألاعلمي، مؤسسة الهادي، ط ٢ ، قم ، ١٦١٤ هـ ، ج ٣٩/٣.

ينظر: تفسير ابن كثير ، ج ٥٠٥/٢.

(٧) ينظر: تفسير غريب القرآن، فخر الدين الطريحي (ت .١٠٨٥) هـ ، تحقيق محمد كاظم الطريحي، مطبعة الزاهدي، قم، ص: ١٤٢ .

وهي معان مترادفة[١] كما في قوله تعالى: "قالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ[٢] ، والسياق السابق يتجه بالمفردة إلى هذا المعنى، إذ حزن يعقوب حزنًا شديدًا على فقد يوسف (عليهما السلام)، حتى ابيضت عيناه، وتولاه عنهم وقالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ[٣] ، وحتى قال له أبناه: "قالوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَضْرًا أَوْ تَكُونَ" مِنَ الْهَالِكِينَ"[٤] ، فيصبح معنى" إنما أشكُو بثَّي وحزني أي: غَمِّي أو همي، أو حزني شديد، فالسّياق كلي للقصة يقود إلى هذا المعنى أو مرادفاته.

(١) يَرِي الزَّرْكشي أن يقول تعالى: "بني وحزني" هو عطف أحد المُترادفين على الآخر ، أو ما هو قريب منه في المعنى والقصد منه التوكيد. ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج ٤٧٣/٢.

(٢) يوسف: ٨٦.

(٣) يوسف:٨٤.

(٤) يوسف:٨٥.

***بسط.**

ومن معانيها المعجمية (القبض والإرسال والتفريق والمد، والبذل والعطاء)[١]، وللمجاز دوره في إظهار بعض هذه المعاني.

أ – (ضد القبض)[٢]

وهو معنى طباقي مقابل للبسط وقد جاء في قوله تعالى : " مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[٣] ، وترادف المفردتين الطباقيتين وتجاورها هو الكاشف السياق عن هذا المعنى المقصود

ب – (نَشرَ و فَرَّق)[٤] .

قال تعالى : " اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ من خلاله فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ[٥] ، عند التمعن في السياق القرآني

---

(١) ينظر: لسان العرب / مادة (بسط).

(٢) ويُقصد بهما فيض الرزق عن أقوام حين يقتره عليهم ويبسط على أقوامٍ بأن يوسعه عليهم.

ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي ، ج ٢/١٣٧.

:جامع البيان ، الطبري ، ج ٢/٨٠٤.

:معاني القرآن النحاس ، ج ١/٢٤٨.

ويرى الطوسي في تفسيره أنَّ المقصود هو أنَّ اللهَ يقبض الصدقات ويبسط الجزاء.

ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت (٤٦٠) هـ ، تحقيق.

(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري ، ج ٢١/ ٦٤ .

(٤) الروم : ٤٨.

(٥) المائدة : ٦٤ لمائدة / ٢٨ .

للآية يُدرك مناسبة هذا المعنى للسياق العام فالآية في معرض بيان عظمة الله الذي يُرسل الرياح فتُثير السحاب فيبسطه (ينشرهُ ويُفرّقه) في السماء، إذ أَنَّ المساحة المفتوحة للسماء تستدعي معنى النشر والتفريق.

ج – (مد)

ورد في سورة المائدة :" لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسط يدي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ[١] ، والبسط هنا بمعنى المد، أي : "ما أنا بماد يدي إليك لاقتلك[٢] ، والقتلُ لا يكون إلا بمد اليد وهو المعنى المراد والمتوضح من خلال السياق لا التأويل.

(١) ينظر : مجمع البيان، الطبرسي، ج ٣ / ٣١٦.
جامع البيان ، الطبري، ج ٦ / ٢٦٠.
(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج ٤٠٣/٦.

كما قال تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا" وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ[١] ، نزلت الآيةُ تكذيباً منه تعالى لما قال اليهود – يداه مغلولتان وإخبارٌ أَنَّ يَدَيْهِ مَبسوطَتان أي : نعمه مبسوطة[٢] ، ليكون الإنكار لقولهم أبلغ وعلى غاية السخاء أدلّ[٣] ، واليد هنا مجاز بمعنى النعمة

***تقل.**

وهو في الأصل اللغوي (الخفاء، والشدة نقيض الخفة، والكنـوز أو الأموات)[٤]، وحين نمنح أنفسنا شيئا من التأمّل أمام السياق القرآني الحاضن للمفردة نجد ظلالاً دلالية لواحد من المعاني في كل سياق بفعل دلالات سابقة أو لاحقة، مثل:

أ – **(الخفاء)**[٥] .

في آية مباركة تتعلق بيوم الحساب: "يسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عَلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لَوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلْتْ فِي السَّمَاوَاتِ" والْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلْمُهَا عَنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[٦]

(١) المائدة ٦٤.
(٢) ينظر: التبيان، الطوسي، ج ٥٧٩/٣.
(٣) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ج ٥١٤/١.
(٤) ينظر: تفسير القرطبي، ج ٢٣٧/١٦.
: فتح القدير، الشوكاني، ج ٥٧/٢.
(٥) ينظر: لسان العرب، ج ٨٥/١١–٨٧.
(٦) الأعراف: ١٨٧.

يلف المفردات سياق كل ضاغط، صدرُ الآيةِ يُصرِّح أَنَّ علمَ الساعةِ عند ربي لا يُجليها إلا هو، لذلك ثَقُلت (خفيت)، وما بعدها من سياق يُؤكد ذلك" لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً "ثُمَّ يُعادُ ما جاءَ في صدرِ الآيةِ للتوكيد" قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "، وجاء هذا الكشف من خلال السياق

ب –(الشدة)[١]

قال تعالى: "إنا سنلقي عليه قولاً ثقيلاً، والقول (ثقيلا)[٢] جاء في بيان صفة الشدة للقول الذي وصف بالثقل تجسيماً وتجسيداً لما هو معنوي توظيفاً للاستعارة المكنية التي أخرجت القول من دائرة المعنويات إلى حيز المُدركات، وهو ما تكرر في آخر من موارد النص القرآني[٣] ، ومن خلال النظم السياقية المتميزة والمتواشج والجميل بين المفردات يتجلى المعنى المقصود في بناء أكثر تميزًا وفرادة، وفي ضوء صورة ناطقة متحركة في نص مكتنزة.

---

(١) ينظر: تفسير زاد المسير، ابن الجوزي، ج ٨/١٤٣.

ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ج ٥/٣٥٤، وينظر: تفسير الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج ٦/٣٠٢.

يكون المعنى شديداً) في معناه الحقيقي إذا تعلق الوصف بما هو مادي مدرك، كقوله تعالى:

وهو الذي يُرسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " الأعراف : ٥٧.

(٢) الاعراف ٥٧.

(٣) المزمل:

كما في قوله تعالى: "إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا " الإنسان: ٢٧

ج – كنوز الأرض وما تضمنته من أجساد بشرية عند الحشر والبعث)[1].

قال تعالى: "إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وَقَالَ الأَنْسَانُ مَا لَهَا، يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ[2] ، والدال على المراد هو يوم البعث والنشور قرائن لفظية ومعنوية، وتمثلت في أداة (إذا) المستعملة لما مستقبل من الزمان، أو ما سيجري من أحداث عُرفت كعلامات لذلك اليوم، والدا على إرادة المعنى المقصود بالأثقال هو السياق الكلي للحدث، وهذه المفاجأة تتمثل في انزلاق الأرض واخراجها ما في جوفها من كنوز وأجساد، بدليل صيغة الذعر والتعجب التي تنتاب الناس يومئذٍ:" وقال الإنسان ما لها"

، وهو سؤال مجازي أُريدَ بهِ التَّعَجُّب والاستغراب، لقد أضاف سياقًا نَصّيًا مُتكاملًا في التوجيه نحو هذا المعنى، وهو معيار لمعرفة المعاني المجازية للمفردات في كثير من الأحيان، وخَرَجَ بالمُفردةِ إلى وظيفة دلالية خَفِيَّة رُبَّما لا تظهر في بنية المفردة ظُهورًا صريحًا.

---

(١) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج٨/ ٢٩١.

: مفردات غريب القرآن، الأصفهاني، ص: ٨٠.

(٢) الزلزلة: ١ – ٦.

***جعل**

الفعل معان كثيرة منها: (شرع، قلب، سَمَّى، خلق، قلب، أنزل)[١]، وقد يُخرِجُها السياق إلى معانٍ أُخر[٢] ، ويأخذ بها إلى واحد من هذه المعاني، أو غيرها من المعاني المجازية، منها:

أ – **(شرع)**[٣] .

قال تعالى: "مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبِ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ[٤] ، والسياق السابق هو قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلْكُمْ وَإِنْ تُسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزِّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ[٥] ، والمُتَضَمِّنُونَ سُؤَالَهُمْ فِيمَا شَرَّعَهُ اللهُ فِي لَوْلَاتِ الأُمُورِ.

وما لَحِقَهُ مِنْ سياقِ قوله جليل: "... حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِّبِ"[٦] ، ثم قال تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)[٧] وَكُلُّهُ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالتَّشْرِيعِ الْمُقْصُودِ فِي السِّياقِ الجامع، الَّذِي كَانَ مُحْورَهُ مُفَرَّدًا مَحَلَّ الْشَاهِدِ.

---

(١) نظر: لسان العرب، ج ١١/ ١١٠-١١١.

(٢) اورد لها صاحب وجوه القرآن سبعة عشر معنى.

نظر: وجوه القرآن، الحيري، ص: ١٦٨ – ١٧٠.

(٣) نظر: تفسير تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج٣/ ٢١٤.

(٤) المائدة: ١٠٣.

(٥) المائدة: ١٠١.

(٦) المائدة: ١٠٣.

(٧) المائدة: ١٠٤.

ب – (القلب)[١].

في قوله تعالى: "فلمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا[٢] ، وَمَهَّدَ لِقَاءَةِ هَذَا المُرَادِ الدَّلَالي السياقانيين السابقين والمُحَمَّلين بالتهديد والوعيد وبيان سوء العاقبة، فقد سبقها قوله تعالى:" .... إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلِيسَ الصُّبْحُ بِقَرِيب[٣] ، وجاء بعد ذلك وفي الآية عينها: "وأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ مَنْضُود[٤] ، وهو ما يُمَهِّد لقلب الأرض بهؤلاء، ويُعَزِّز معناه.

ج – (سمى)[٥]

قال تعالى: "وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ[٦] ، وَالْتَمَعُونَ فِي هَذِهِ الآيَةِ يَجْعَلُونَ الْمَضْمَانَ وَنَظَرَوهُ يَكْشِفُونَ أَنَّ الْفَعْلَ (جَعَلَ) حِينَ يُوَفَّى مُفْعَوِلُونَ (الْمِلْئَاتِ وَالْأَثَارَ) وَهُمَا الْمُتَشَارُونَ إِلَيْهِمْ بِوَاوِ الْجَمَاعَةِ (جَعَلَوا)، وَأُرِيدُ بِهِمْ الْمُشْرَكُونَ – اشار الى ارادة هذا المعنى ، اذ ليس لهم قدرة الجعل فيما لو اراد به المعنى الحقيقي ، ولا محيص من ارادة المعنى (سمعوا) ، او (وصفوا) كما يرى بعضهم الاخر[٧] لان كلا الامرين (سمعوا ، وصفوا) مما يمكن ان يقوموا به ، ولعل ايثار هذه المفردة لاخراج هذا المعنى انسب من غيره لمقتضى الأمر ولما لها من قدرة على التركيز الدلالي في فاعلية التغيير، وجعل النص أكثر فاعلية

---

(١) نظر: تفسير التبيان، الطوسي، ج٦/ ٤٤.
: تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج٥/ ٣٠٠.
(٢) هود: ٨٢.
(٣) هود: ٨١.
(٤) هود: ٨٢.
(٥) ينظر: تفسير الميزان الطباطبائي، ج١٢/ ٢٧٥.
:تفسير القرطبي، ج١/ ٢٢٨.
: تفسير البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج٤/ ١٢٩.
(٦) الزخرف: ١٩.
(٧) ينظر: معاني القرآن ، النحاس، ج٦/ ٣٤٤.

في نفس المتلقي، فاصبحت ترجمة رمز مُكثّف يُصبح عن مِقدار سُوءِ عَمَلِ أولئك الذين (جعلوا) الملائكة بظنهم إناثًا، ومقدار ما هم عليه مِن يَقِينِ باطل .

د – (خلق)

كما في سورة الأنعام: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ[١] عطفت الجملة الثانية:" وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ " على سابقتها التي قامت على بيانِ خَلَقَ اللهِ للسَّماواتِ والأرضِ فيكون المعنى لها تمامًا للأولى فأخذ الجملتان معنى واحدًا وهو الخلق الظاهر معناه في الثانية من السياق.

هـ – (قلب)

قال تعالى في سورة هود: "فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافَلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ"[٢] ، ووضع العالي في محله الأعلى هو (القَلبُ) وهو قرينة سياقية، وهو معنى قال به بعض المفسرين[٣] .

---

(١) والمعنى عند كثير من الشراح هو (الخلق)، أي: خَلَقَهُما.
ينظر: التبيان الطوسي، ص/ ٧٥.

:جامع البيان، الطبري، ج ٧/١٩١،

:الدر المنثور، ج ٣ / ٣

:البرهان، الزركشي، ج ٣ / ٢٤١.

(٢) الانعام :١.
(٣) هود: ٨٢.

*** –دعا.**

والدعاء يعني (طلب المعونة أو الاستغاثة، أو الخالق، أو القول والداء) في الأصل اللغوي[١] ، ويحمل دلالات بمقادير معينة يتحكم بها السياق، ويتكفل كشف معانيها، مثل:

أ – (القول)[٢]

قال تعالى:" دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[٣] ، والسياق الحولي المجاور صرحبالمعنى المقصود أنَّ قولَهم هُو سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ "، ثُمَّ " وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ "،والمتأمل في السياق يستدل به على إرادة هذا المعنى.

ب – معنى (العبادة)[٤].

في قوله تعالى : " وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللّه مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إذا منَ الظَّالِمِينَ[٥]، والمتأمل في الآياتِ يَلْمَحأنها تتكلم في الدعوة إلى الإيمان بالله الَّذي خَلَقَ السَّموات والأرض والدعوة إلى الهداية واتباع ما يُوحى، والسياقُ السابق هو دعوة صريحة إلى عبـادة الله " وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[٦] ، ويدعمه السياق اللاحق وهـــــــ: " فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظالمين " كما يبدو في الآية المباركة.

---

(١) ينظر: التبيان، الطوسي، ج ٦/٤٤.
:فتح القدير، الشوكاني، ج ٢ / ٥١٥.

(٢) ينظر : تفسير الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج/٣ ٣٠١.

(٣) يونس :١٠.

(٤) ينظر : تفسير مجمع البيان، الطبرسي ، ج ٥/٢٣٦ ، وينظر: تفسير جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج١١/ ٢٢٨.
تفسير : الجامع لاحكام القرآن، القرطبي، ج٨/ ٣٨٧.

(٥) يونس:١٠٦.

(٦) يونس: ١٠٥.

ولو عُدَّ الدُّعاءُ مِمَّا يأتي بمعناه الحقيقي فلا بُدَّ أن يكون المقصود به مجازاً عقلياً بعلاقة الجزئية باعتباره جزءاً من العبادة، بدلالة" فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذا مِنَ الظَّالِمِينَ "، وبدلالة ولاتكونَنَّ من المشركين،فالشرك والظُّلْمُ إشارتان واضحتان تدلان على إرادة المعنى المجازي الأعم وهو العبادة.

ج – بمعنى (النداء)[١].

قال تعالى: "يَوْمَ يَدْعُوْكُمُ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا[٢] ، وَكَاشِفًا لِلْمَعْنَى الْمُقْصُودَ هُوَ مَا حَقَّ بِالْمُفَرَّدَةِ مِنْ سِياقِهِ"

فتَسْتَجِيبُونَ "، بعد النداء تأتى الاستقالة المُباشرة والفورية، ولا تكون إلا بعد نداء وأمر، وهو كنايةٌ عن البعثة والشورى بقرينة ما ســـق " فسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً[٣] ، ثُمَّ يسألون استخفافاً: "متى هو" فيأتي الجواب: "قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً"، وهنا يأتي البرهان حين يدعو ما تبقى من أجسادهم بعد موتها فيستجيب ليعلموا كيف يُعادوا إلى الحساب، والبناء الكلي يصل إلى أن المقصود ليس عين المعنى المُعجمي للمفردة .

د – (السؤال)[٤].

قال تعالى: "وقال ربكم أدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ[٥]، والدال على قصدية هذا المعنى السياق اللفظي واللفظي، لأن المسؤولية حين تأتي من الله إنَّما تأتي بعد سؤاله

---

(١) ينظر: تفسير التبيان، الطوسي، ج ٦/٤٨٨، ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج / ٢٧٥.
تفسير فتح القدير، الشوكاني، ج٢/ ٢٣٤.

(٢) الإسراء: ٥٢.

(٣) الإسراء: ٥١.

(٤) ينظر: معاني القرآن، النحاس، ج٤/ ٤٣٦.

(٥) غافر: ٦٠.

الرحمة، والإلحاق المباشر بالإجابة بعد السؤال تدل على سرعة المسؤولية ولا فاصل بينهما وبين السؤال الذي جاء بشروطه وشرائطه.

***ضرب.**

ومن معانيه التي ذكرها ابن منظور : (خرج في تجارة أو غزو ، أعرض عن الشيء، أقام، نصب)[١] ويأخذ كل منها دوره و معناه بحسب السياق او التأويل كما ذكر الشراح.

أ – (خرج)

في قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً[٢] ، ويرى بَعضُهُم أَنَّ (ضربتم) بمعنى (سرتُم)[٣] ، أو (سافرتم)[٤]، والسياق اللاحق في سبيل الله والسابق للآية (لا يستوي القاعدون..... عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ....)) يُوحِيان بهذين المعنيين

ب–(أعرض)

كما في سورة المائدة:" أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صفحًا أن كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ"[٥] ، وهذا قولُ كَثيرٍ مِنَ المُفَسِّرين الذين استقوا هذا المعنى من الروايات[٦]، والقول"

---

(١) ينظر : لسان العرب ، ج ٧/ ٢٢١.

(٢) النساء : ٩٤.

(٣) عند الطبري في تفسيره:" إذا سِرتُم في الأرض"، وعند القرطبي بمعنى" السير في الأرض". جامع البيان، ج ٥/٣٠٠.

تفسير القرطبي، ج٥/ ٣٣٦.

(٤) ويرى النحاسُ أَنَّ (ضرب) بمعنى (سافرتم).

معاني القرآن، ج٢/ ١٦٦.

(٥) في قوله تعالى: " لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماتٍ " (النساء : ٩٥)

(٦) الزخرف : ٥.

قَوْماً مُسْرِفِينَ " يُعَزِّز المعنى المشار إليه وهو سياق داعم له.

***ضل .**

ودارت فِي فُلك هذا الفعل معانٍ عِدَّة منها: (الكفر والذهاب و مطلق المعصية والنسيان)[١]

أ – (كفر)[٢]

كما في قوله تعالى :" أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ[٣] ، إنَّ الذي يبـل الكفر بالإيمان لهو من الكافرين وهذا سياق ضمني يكشف عن المعنى الفرعي للفعل (ضل)، وقد تأتي بمعنى تاه عن السبيل أو فقده اوأخطأه.

ب –(الذهاب).

قال تعالى : " انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يفترون[٤] ، أي ذهب ما كانوا يدعون[٥] وبطل ما كانوا يأملونه من الأماني الكاذبة وما كانوا يتخرصون[٦] ، بعد أن كذبوا ثم رأوا الحقيقة رأي العين ذهب ظنهم واعتقادهم الباطل .

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي، ج١٦/ ٦٢.

ينظر : تفسير البرهان الزركشي، ج ٢/٣٦١.

(٢) ينظر : لسان العرب ، ج ٦/ ٣١٥.

(٣) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ج١/ ٣٤٤.

(٤) لبقرة : ١٠٨ .

(٥) الأنعام : ٢٤ .

(٦) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي ت (٨٧٥) هـ، تحقيق د. عبد الفتاح أبو سنة وزملائه، دار الأحياء، بيروت، ج ٢/٤٥٤

: زاد المسير، ابن الجوزي ، ج٣/ ١٥.

د – (النسيان)

كما قال تعالى: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبُ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهُ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ" فليُمِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مُمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَاهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ[1] ، فَصَّلَت الآية حكم الدين وكيفية توثيقه بحضور شاهدين من الرجال أو الرجال والنساء، ثم شرع الآية في بيان سبب هذا التحديد:" أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، فَأَضْحَى الْمَصْطَلَحْ لِلْفِعْلِ (تَضَلَّ) هُوَ (تَنَاسِي) بِقَرِينَة (فَتُذَكِّر) وَهُوَ سِياقٌ حَقٌّ كَشَفٌ عَنِ الْمَصْطَلَحْيِ لِلْفِعْلِ .

(١) يوسف: ٦٥.

***ظَن.**

وتعني في المعنى المُعجمي، اليقين، والكذب والشك)[١]، ويدفعها السياق القرآني إلى معنى مقابل لمعنى الشك، وهو:

أ – (اليقين)[٢].

في قول تعالى – في معرض الحديث عن المجرمين لما يَرَوْا العذابَ –: "وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا[٣] ، يَقْنَوْا بَعْدَ أَنْ رَأُوا بِأَعْيُنِهِمْ مَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ سِياقٌ حَوْلِيٌّ كَانَ هَذَا الْمَعْنَى، وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِي الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا[٤]

إذن نادوا من هم يعبدون من دون الله فَلَم يُجِيبُوهم، وَرَأَوا النار بأعينهم، حينئذٍ يَقْنَوْا عَنْهُمْ وَلاَ يَصْرِفُونَ عَنْهُمْ، وَقَالَ تَعَالَى: "وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا يُعَزِّزُ هَذَا التَّوْكِيدِ لِمَعْنَى الْإِثْمَانِ، وَقَالَ تَعَالَى: الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ[٥]

ب– وتاتي بمعنى الكذب[٦].

في معرض الحديث عن المنافقين بعد أن وصفهم الله في الآية المباركة": وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ

---

(١) ينظر: لسان العرب، ج١٣/ ٢٧٢–٢٧٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ١٢/٤، وينظر: تفسير جامع البيان، الطبري، ج١/ ٣٧٤.

(٣) الكهف: ٥٣.

(٤) الكهف: ٥٢.

(٥) البقرة: ٤٦.

(٦) ينظر: تفسير الدر المنثور، السيوطي، ج ١/٨٢، وينظر: تفسير فتح القدير، الشوكاني، ج١/ ١٠٥.

بما فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ، أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلَنُونَ[١] ، وهو سياق يصل إلى المعنى المقصود الكذب – في الآية التالية: "وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ[٢] .

هم كاذبون بدليل بيان حالهم في ما سبق من الآيات، وبَيَّانِ عَلَمِ اللَّهِ بِهِ الْحَالَ الَّذِي تَظْهَرُ فِي غَيْرِ مَوْضُوعٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى":

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"[٣] ج (الشك)[٤]

قال تعالى في سورة الجاثية: "وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعَدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رِيبُ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيَقِنِينَ[٥] ، أُحِيطَ فِعْلٍ (نَظَرٍ) بِسَيَّاقِينَ سَابَقِينَ (قُلتُم مَا نَحْنُ بِمَسْتَيَقِنِينَ) وَهُمَا الْمُوَجَّهَانِ لِلْعَلاَمَةِ الشَّكِّ كَما هُو جَلِي".

***فَتَحَ .**

تأتي بمعنى إزالة الإغلاق حسيًا أو معنويًا، أو النصر.

أ – (إزالة الإغلاق)

في قوله تعالى: "وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ" بَعِير ذَلِكَ كَيلٌ يَسِيرٌ[١] ، تَجْرِي الْمُتَاعْ هو إِزَالَةُ الْحِسِّيَّةِ لِمَاذَا كَانَ

---

(١) البقرة: ٧٦–٧٧.

(٢) البقرة: ٧٨.

(٣) البقرة: ١٤–١٥.

(٤) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ج٥/ ١١.

(٥) الجاثية: ٣٢.

مُنْعَقِدًا وَهُوَ (الْبَضاعَة) والإزالة المعنوية التي جاءت في قوله تعالى: "وإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُوكَمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ[٢] ، والذي فتحه الله عليهم هو ما أنزل الله عليكم[٣] ، أو ما قَضَى عَلِيكُم في كِتَابِكُم أَنَّ مُحَمَّداً (صلى الله عليه واله وسلم) حَق[٤] أو ما حكم عليكم من العذاب[٥] أو ما أمركم[٦] وهو جميعُهُم مَّمَّا يُعْقِلُونَ وَخَرَجَ مِن دَوْرَةِ الْمُحْسُوسَاتِ الْجَسَدِيَّةِ إِلَى دَوْرَةِ الْحَسَنِ الْوَاسِعَةِ".

ب – (النصر)

ورد هذا المعنى في قوله تعالى: "فَتَرَّى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَحْتِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ[٧] ، يُصَرِّحُ السياق بخوف الذين في قلوبهم مرضٌ من أن يأتي الله بنصره) أو أمر من عنده فيصبحوا من النادمين،

---

(١) يوسف: ٦٥

(٢) البقرة: ٧٦.

(٣) ينظر: التبيان، الطوسي، ج١/ ٣١٤.

(٤) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ج١/ ٢٧١.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي، ج٢/ ٣.

(٦) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج١/ ٥٢٢.

(٧) جامع البيان، الطبري، ج٦/ ٣٧٦.

***فتن .**

وهو في اللغة بمعنى: (القتل والعصية والعذاب والإحراق الابتلاء والاختبار)[١]، وينقلها السياق من معنى إلى آخر لتصب في عطاءات سياقية

عديدة، كما في:

أ – (القتل)[٢]

في قوله تعالى: "وإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مَنْ الصَّلَاةَ إِنْ خَفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا[٣]، وَكَاشِفًا عَنْ هَذَا الْمَعْنَى الْمُتَمَمُ لِلْكَلامِ، وَقَالَ تعالى:" وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لِمَنْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتِعَتَهُمْ فَيَمْلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جَنْحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذِى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضِي أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَهُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مِهِينًا[٤] ، يظهر من خلال السياق كيفية الصلاة عند الحرب ، وبتفصيل جَلِّي كَمَا هُوَ مُبَيَّن في الآية اللاحقة بمحل الشاهد، بجانب ما تحمله الآية من قرينة تؤيد المعنى المقصود – القتل – " إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً ، ولما كان الأمر كذلك ، لا بُدَّ إذن من قصدية هذا المعنى كَمَا يَرى كثيرٌ من المفسرين.

---

(١) ينظر: لسان العرب، ج ١٣/ ٣١٧–٣١٨.

(٢) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ج ٤ / ٤٩٨ ، ينظـــر : جامع البيان، الطبري، ج٥/ ٣٢٩.

(٣) النساء : ١٠١.

(٤) النساء : ١٠٢ .

ب – (الكُفر)[١] .

ورد هذا المعنى في معرضِ الكَلَام عن القتال في سبيل الله مع المشركين في قوله تعالى: وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جُزَاءُ الْكَافِرِينَ[٢]

إنَّ الفِتنة اشد من القتل، أي: الكُفر اشد من القتل، لان السياق المُحيط بالمفردة يفرض هذا المعنى ، لاسيما إذا تَمَعَنا في السياق الكلي للآيات المرتبطة معها في ساحة موضوعية كبيرة من سورة النساء، والتي خصصت للحديث عن قتال المشركين وشرح كُلّ ما يتعلق بذلك ،

والآية السابقة تبدأ بالفعل (واقتلوا)، ثم تبدأ الآية محل الشاهد بالأمر (واقتلوهم)، ثُمَّ يأتي بيان ذلك؛ وهو أنَّ الكُفَرَ اشَدَّ مِن الْقَتْلِ، فَلَا غَرَابَةِ إذن من هذا التوكيد في قتال هؤلاء.

ج – (المعصية)[٣].

في قوله تعالى: "ألا في الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ... [٤]، بدليل السياق اللاحق:" وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ فِي الآيَاتِ عَيْنَيْهَا، ثُمَّ قَالَ تعالى: "إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (٣)، وهو كلامٌ بِمُجْمَلِهِ عَنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَعَصَوْا.

---

(١) ينظر: معاني القرآن، النحاس، ج١/١٠٦، وينظر: تفسير التبيان، الطوسي، ج٢/ ١٤٤.

(٢) ينظر: تفسير التبيان، الطوسي، ج ٥/٢٣٢، وينظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج٥/ ٦٥.

(٣) ينظر: تفسير الثعالبي، ج٨/٢٧٨.

(٤) النساء: ١٩١.

د – (العذاب)[١].

في قوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ....." [٢]، والسياق الضمني هو داعم لهذا المعنى، إذ وقع التشبيه بعذاب الله، أي جعل عذاب الناس كعذاب الله، وَلَرُبَّما جاء التعبير بالفتنة لمرين؛ الأول هو بيان أنَّ عَذابَ الله ليس كعذاب الناس ، فاحترز عن التعبير بلفظتين متشابهتين، والثاني هو تجنب التكرار، ورُبَّما يُوحي قوله تعالى في صدر الآية: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أوذي في الله... "،بالمعنى المقصود ،ويكون بمثابة مُقارِبَةٍ مِنه، ولاشَكَ أَنَّ لِكُلِّ مُفردَةٍ فِي في كتاب الله موقعها الَّذي وُضعت فيه عن قصد، وغاية دون غيرها من المفردات.

هـ – (الإحراق)[٣].

كما قال تعالى: (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ، يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ، يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ، ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) ، إِنَّ الْكَلِّي يَدْفَعُ نَحْوَ مَا هُوَ الإِحْرَاقُ، فَهُمْ بَعْدُ

(١) التوبة: ٥٠.

(٢) ينظر: تفسير التبيان، الطوسي، ج ٨/١٨٨، وينظـــر: تفسير مجمع ، البيان، الطبرسي، ج٤/ ٤٩٨.

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٥/ ٢٩٨.

أن سَأَلُوا مُسْتَهْزِئِين عن يوم الحساب، وجدوا أنفسَهم فيه وهم ساهون، وبدليل (ذوقوا)، وكلاهما يحمل السخرية بعد استهزائهم بيوم الدين، والآيات اللاحقة بسياقِها الكُلِّي تَصِفِ المُؤَمِّنِين وهم في (جَنَّتْ وَعُيُونَ)، وهو طباق معنوي مركب يُعزِّز هذا المعنى – الإحراق – ويُؤكده، إذا نظرنا مُقارنةً بَينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وحالاً من فيهما من الكافرين والمؤمنين.

و – (الابتلاء الاختبار)[١] .

قال تعالى في سورة العنكبوت : " وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذبين[٢] ، ومعرفة الصادقين من الكاذبين لا تكون ألا بالاختبار وهو مصداق من مصاديق علم الله الذي لا يخفى عليه شيء ولكن لتقوم الحُجَّةُ على الناس ويتحقق العدل الإلهي ، لَقَد كَشَفَ السياقُ عَن هذا المراد المعنوي ودلّ عليه

***قضى.**

وتمخض عنه معان كثيرة ذكرها أصحاب المعاجم ودار في رحابها؛ منها : (فرغ، ألامر ، الإعلام، العهد)[٣]

(١) ينظر: مجمع البيان،الطوسي،ج ٥/٨.
:.معاني القرآن، النحاس،ج ٢١٢/٥.
:جامع البيان ، الطبري ج١٥٧/٢.
:فتح القدير ، الشوكاني ج١٩٢/٤.
(٢) العنكبون :٣.
(٣) ينظر لسان العرب ج١٤٥/٨.

أ – (فرغ)[١]

في قوله تعالى: "فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خُلُقٍ[٢] ، إِنَّ هُنَاكَ حَرْفٌ (الوفاء) فِي (فَأَذْكُرُوا) فِي السِّياقِ اللاحقِ بالفعلِ يُوضِّحُ دلالاتِ الفعلِ (قَضَى عَلَى النِّفَاعِ وَالإِنْتِهَاءِ، وَهُوَ مَعْنَى الْمُؤْمِنِ لِمَا اسْتَنْفَذَ عَلَيْهِ الْمُفْسِرُونَ تقريبًا.

ب – (ألامر)

في سورة البقرة: "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ[٣] وَرَدَتْ الآية في صيغة إخبارية حيث (فائدة الخبر) لافادتها معنى جديدًا وفيها بيان عظمة الله (جل عُلاه) والسياق الضمني الذي يلفُّ الآية ينتهي بالمتلقي إلى معنى الأمر الباقية (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ) والمؤكدة بأداتي التوكيد (إن) و(ما زاد) وهو ما يفيد القصر أو الحصر، وكذلك في قوله تعالى في سورة الإسراء: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمْا يَغْنُ" عندكَ الكتابُ أَحَدُهُمْ أَوْ كُلَّهُمْ فَلَا تَقُلْ لَهُمْا أُفٍّ وَلَا تَنَهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً كَرِيماً[٤].

---

(١) العنكبوت :٣.

(٢) ينظر : لسان العرب ج١٤٥/٨.

(٣) ينظر : التبيان، الطوسي .١٧٠/٢.

مجمع البيان، الطبرسي،ج٣٢٦/١.

جامع البيان ، الطبري .ج٤٠٢/٢.

مفردات غريب القران، الاصفهاني ص:٤٠٦.

(٤) البقرة ٢٠.

ج – (الإعلام)

قال تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً[١] ، ومعنى الإعلام ظاهر من معنى الآية التي

تدل الأفعال حيث على أن الأمر سيقع فيما يتقدم من الأيام التي ستكون فيها حالهم كما بين المفسرين[٢] لوجود حرف اللام الدال على الاستقبال

د – (العهد)

في قوله تعالى: "وما كنت بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ[٣] ، وردت الآية في صيغة خطابية تدل على إرادة هذا المعنى المقصود المُعَزَّز بالأداة (إذ) التي تُشير إلينا من مضى من الزمان في الدرس النحوي وفي كلام العرب عمومًا.

***هَدَى**

وللفعل هَدى معانٍ فرعية تدور في رحابه مثل: (العلامة، الاسترجاع، السنة، الإصلاح، الإلهام، الإرشاد)[٤]

---

(١) البقرة ١١٧.

(٢) ينظر : لسان العرب ،ج٢٤١/٤.

(٣) ينظر: معاني القرآن،النحاس، ج١٢٢/٢.

وجاء بمعنى(أخبرناهم) .

ينظر: التبيان،الطبرسي،ج ٣٦٢/١.

: جامع البيان، الطبري،ج٧١٠/١.

(٤)القصص:٤٤.

أ – (العلامة)

قال تعالى: "وَعَلَّمَاتٍ وَبَالَنُجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ[١] ، وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الآيَةُ هُوَ الْعَلِيُّ: "وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لِعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ[٢] ، فَكَلاَمٌ عَنْ فَضْلِ اللَّهِ وَهَدَايَتِهِ لِلنَّاسِ بِمَا عَلِمْهُمْ مِن سُبُلِ يَهْتَدُونَ بِهَا ؛ وَسُبُلاً لِعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " في الأرض ثم أعقب كلامه عن الهداية بما في السماء من نجومه وهو مما يطلُب معرفة

العلامات الدالة على الهداية والتي لا تخفى على لبيب، ودليل النقل للروايات التي تناقلها المُفَسّرون[٣] يُؤَيِّد هذا المعنى الفرعي للفعل (هَدَى)

ب (الإصلاح)

جاء الله في سورة يوسف: "ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ[٤] ، لما كان سبب النزول واحداً من أهم القرائن السياقية الدالة على المعنى[٥] نجد أنَّ الآية وما سبقها نزلت في قائم التوبيخ[٦] مطابقة مع السياق اللاحق (كَيْدَ الخَائِنِينَ ليُنتِجُا المعنى المقصود وهو (لا يصلح) كيد هؤلاء الخائبين. وهو معنى

---

(١) النحل :٦٦.

(٢) النحل ١٥.

(٣) ينظر: التبيان، الطوسي، ج٦/ ٣٦٦.

: مجمع البيان، الطبرسي، ج٦/ ١٤٤.

: تفسير القرطبي، ج١٠/٩١.

وهناك من قال إن المعنى هو الرشاد.

ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١/ ١٠٣.

(٤) يوسف: ٥٢.

(٥) ينظر: ص: ٤.

(٦) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ج٢/ ١٦٩.

ج – (الإلهام)[١]

كما في سورة طه: "قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى"[٢]، أي الهَمَه لما ينفعه ويُصلح به حال أكله وشربه ومسكنه ومولده وهو معنى يظهر من السياق الضمني للبنية الكلية للآية من خلال التتابع المعنوي للمفردات

د – (الإرشاد)

قال تعالى: "وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ"[٣]، والحديث عن موسى (عليه السلام) حين خرج من مصر خائفًا طالبًا من الله أن يُرشده إلى الطريق[٤] ، أو يُعَرِّف ــه إلى[٥] ، أو يُبَيِّن له قصد السبيل إلى مدين[٦] ، أو قد يكون المعنى هو: أن يُذَكِّرَنِي إِذَا نَسِيَ، أو أن يُعطيني ربِّي الآيات على النُّبُوَّة[٧] ، وكُلُّهَا مَعَانٍ تَدَلُّ على الإرشاد الذي معان تتفرع عبر آلية التأويل أو بموجب سياق الفعل (هَدَى)

---

(١) ينظر: التبيان، الطوسي، ج٧/ ١٧٦.
(٢) : مجمع البيان، الطبرسي، ج٧/ ١٧٦.
(٣) القصص: ٢٢.
(٤) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ج٤/ ١٦٥.
(٥) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج٥/ ٩.
(٦) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج٢/ ٦٤.
(٧) ينظر: التبيان، الطوسي، ج٧/ ٢٩.

نتائج البحث:

من خلال الإطلالة على رحاب الألفاظ القرآنية وفق الآلية المنهجية التي الزمت الباحث في السير خلف الدلالات المتنوعة للمفردة القرآنية بفعل المعاني الفرعية التي استنطقها السياق والتاويل واستطاع الباحث أن يُسجل بعض النتائج ومنها:

- لم يغفل أصحاب المعاجم ما للمفردة القرآنية على وجه الخصوص – من معانٍ مُستبطنة يستنطقها السياق تارة أو بفعل التأويل تارة أخرى، وان كان هذا الأمر لم يُراع في كثير من المعاجم الحديثة التي أخذ أصحابها يميلون للاختصار حَتَّى بات صفةً مميزة لها
- تتبع العلماء المعاني الفرعية في كثير من الدراسات غير أنَّ كثيراً منهم لم يخرج من دائرة العدّ والإحصاء دون الخوض في بيان اثر السياق في تعدد تلك المعاني
- كان للمجاز دوره الكبير في دفع بعض الألفاظ القرآنية لتأخذ بعضاً من معانيها الضمنية وقد عزز السياق ذلك.
- يتحدد المعنى للألفاظ القرآنية أحياناً تبعاً لمؤثرات سياقية قد تكون سابقة او لاحقة أو منبعثة من المفردة عينها وربّما تأتى من مجموع ذلك كله.
- كان للمفسرين والبلاغيين المتأخرين فيما بعد الدور الكبير في بيان أثر السياق في توجيه المفردة نحو معنى من معانيها المتعددة وان كان قائماً على التأويل في أغلب الأحيان.

- ظهر كثير من المعاني الفرعية للألفاظ القرآنية من مؤلفات أفردها اللغوية والنحاة وقعت تحت عناوين منها (الأشباه والنظائر) أو (وجوه القرآن) بعد أن استقوها من المعاني الواردة في المعاجم اللغوية.
- لم يتخرج كثير من الدراسات عن دائرة العد والاستقصاء حَتَّى عند بعض المُحدثين.
- السياق القبلي أو البعدي أو الحولي هو المُوَجَّه نحو هذا المعنى دون سواه من المعاني المحمولة بين دفتي كل فِعلٍ مِن هَذِهِ الأَفْعَّالِ الَّذِي ذَكَرِيهُ أَصْحَابُ المَعَاجِمِ وهو النفس نحو التعرف على مدلولات واحتمالات كُلِّ معنى ليَظل الفعل منوطًا بمعنى واحد يفرضه السياق دون غيره .

مصادر البحث:

١ – القرآن الكريم.

٢ –أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص ت(٣٧٠)هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ

٣ –الإعجاز القرآني أسلوبا ومضمونا، د. شلتاغ عبود، دار المرتضى، بيروت، ١٩٩٣م.

٤– بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية ت (٧٥١) هـ، المطبعة المنيرية، مصر، (د.ت).

٥ – البرهان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الفكـــــــر، بيروت، ٢٠٠١ م.

٦ – بلاغة الكلمة ف ي التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠م.

٧–الخامس التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بـــــن الحسن الطوسي ت (٤٦٠) هـ، تحقيق احمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الإعلام الإسلامي.

٨–تفسير جومع الجامع، علي بن الحسن الطبرسي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٨هـ.

٩–تفسير الصافي، محسن الفيض الكاشاني ت (١٠٩١) هـ، تحقيق حسين العلمي، مؤسسة الهادي، ط ٢، قم، ١٦١٤هـ.

١٠ – تفسير القرآن العظيم، إسماعيل علي بن كثير ت (٧٧٤) هـ . دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ .

١١–تنزيه الأنبياء، الشريف المرتجى ت (٤٠٠) هـ، المطبعة الحيدرية، ط ٢، النجف، ١٩٦٠م.

١٢–جامع بيان عن تأويل أي القرآن، أبو جعفر محمد بن جريـر الطبري ت (٣١٠) هـ، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٣-جامع أحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي ت (٦٧١) هـ. دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٤-جمالية المفردة القرآنية، د. أحمد ياسوف، دار الكتب، ط ٢، ورية، ١٩٩٩م.

١٥-الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بـ ـــن محمد الثعالبي ت (٨٧٥) هـ، تحقيق د. عبد الفتاح أبو سنة وزمله، دار الإحياء، بيروت

١٦- دور الكلمة في اللغة، ستيفن، أولمان، ترجمة د. كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، ط، القاهرة١٩٧٣م.

١٧-الدر المنثور، جلال الدين السيوطي ت (٩١١) هـ، دار الفتح، جدة، ١٣٦٥هـ.

١٨-دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤م.

الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، د. حامد كاظم عباس، دار الشؤون الثقافية، بغداد ٢٠٠٤م.

١٩- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين علي الجوزي ت (٥٩٧) هـ، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر، بيروت ١٤٠٧هـ .

٢٠-صاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابن فارس ت (٣٩٥) هـ، المكتبة السلفية القاهرة، ٩١٠م.

٢١-علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مكتبة العروبة، الكويت، ١٩٨٢م.

٢٢-علم الدلالة، غيرو، ترجمة انطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت ١٩٨٦م.

٢٣-علم الدلالة، لينز، ترجمة مجيد الماشيتة وزمله، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م.

٢٤-علم اللغة، د. محمود غروان، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.

٢٥-غريب القرآن، فخر الدين الطريحي (ت (١٠٨٥) هـ)، تحقيق محمد كاظم الطريحي، مطبعة الزاهدي، قم

٢٦ – فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني ت (١٢٥٠) هـ، عالم الكتب، (ت.ت)

٢٧ – لسان العرب، ابن منظور ت (٧١١) هـ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٢٨ – مجاز القرآن، أبو عبيدة ت (٢١٠) هـ، تحقيق محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي مصر، ١٩٦٢م.

٢٩ – مجمع البيان في تفسير القرآن، علي بن الحسن الطبرسي ت (٥٦٠) هـ، مؤسسة العلمي

٣٠ – معاني القرآن، أبو جعفر النحاس ت (٢٣٨) هـ، تحقيق الشيخ محمد ـــد علي الصابوني، مطبعة جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية .

٣١–معاني القرآن، ت (٢٠٤) هـ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٣٢–معتصم الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي ت(١)هـ،تحقيق احمد شمس الديندار الكتب العلمية،بيروت، ١٩٨٨ م .

٣٣–مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني ت (٤٢٥) هـ، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق

٣٤–من كنوز القرآن، محمد السيد الداودي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٣م.

٣٥–الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي ت (١٤٠٢) هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، (د. ت).

٣٦–نزهة الأعين النواظير في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن علي الجوزي ت (٥٩٧) هـ، تحقيق سيدة مهر النساء، ١٩٧٤م، مطبعة حيدر آباد.

٣٧– وجوه القرآن، تحقيق د. نجف عرش، مطبعة الأستانة الرضوية، مشهد، ١٤٢٢هـ .